[ 94 ] ولم ذلك ؟ فقال رجاء: لان قريشا ونحوها لا ترضى بهذا، ولا تصير إليه، ولا آل أمية وعبد شمس حيث كانت من الارض. فقال عمر: إن الامر ﷲ من قبل ومن بعد، يؤتى الملك من يشاء. فقال رجاء: فخرجت إلى الناس وأعلمتهم بعهد أمير المؤمنين. فقالوا سمعا وطاعة، ثم أعلمتهم بابتهاله ورغبته إلى اﷲ، وما قال، فلم يشك الناس أن عمر بن عبد العزيز صاحبهم، فأرادوا أن يسلموا عليه بالخلافة، وذلك لما أيقنوا بهلاك سليمان. فقلت لهم: لا تعجلوا فإن عمر قال لي أرى سليمان ما أراد إلا القاسم أو سالما، وهذا أفطن منى بهذا الامر لانه كان حاضرا، وسليمان يكتب العهد بيده، فضج الناس من ذلك واختلفوا. فقالت فرقة: سمعنا وأطعنا، لمن استخلف علينا، كان من كان. وقالت فرقة: لا، واﷲ لا نقر بهذا، ولا نطيعه، ولا يستخلف علينا إلا مرواني، ولا تبقى منا عين تطرف في الدنيا. فقال رجاء لعمر: كيف ترى قولى، واﷲ لئن كان هذا إنه لهو البلاء المبين، وإنها الفتنة قد فتح بابها. فقال عمر: أرجو اﷲ أن يغلقه إن شاء اﷲ. قال رجاء: فقلت لعمر: ما نحن صانعون إن كان هذا ؟ فقال عمر: لا أدرى ما أقول في موقفي هذا. قال رجاء: ولم ؟ فقال عمر: لاني واﷲ ما وقفت موقفا قط، لا رأى لي فيه ولا بصيرة، إلا موقفي هذا، فإنى قد أجدني قد ذهب روعى (1)، وفقدت رأيى، ولا أدرى ما أستقبل من أمرى، ولا ما أستدبر، ولو استعطت الفرار لفررت من موضعي هذا، حيث لا أدرك ولا أرى: قال رجاء: فلما قاولني بهذا علمت أنه للذى قال من فقده لرأيه وبصيرته. قال رجاء: فقلت له يا أبا حفص، فأين نحن من المفزع إلى اﷲ، والرغبة في الصلاح علينا وعلى المسلمين، ويعزم لنا على ما فيه الخير والخيرة (2) ؟ فقال عمر: بلى واﷲ هذا الملجأ وهذا الحصن الحصين والمعقل الشديد. قال رجاء: فبتنا ليلتنا لا نألوا على أنفسنا في الدعاء، والاستخارة ﷲ. فلما أصبحنا قلت لعمر: ما ترى يا أبا حفص ؟ فقال: أرى أن أسمع وأطيع لمن في هذا الكتاب فإن كان أحد الرجلين قدم سمعت له وأطعت، ورددت من أدبر عنه بمن أقبل عليه حتى أموت. قال فبينما هما كذلك إذ أقبل وصيف يسعى إليهما يقول: قد قضى أمير المؤمنين نحبه، فخرجا، فإذا بالعويل والنوح، فرجعا إلى المسجد ترعد فرائصهما، والناس يسلمون على عمر بالخلافة وهو يقول: لست به، حتى دخل المسجد، وقد اجتمع الناس، وهم مستعدون للفتنة والقتال، إن خالف العهد ما يريدون. فقام رجاء إلى جانب المنبر: فحمد اﷲ، وحض الناس على الطاعة، ولزوم الجماعة، وأعلمهم بما في الفرقة

---

(1) الروع: بضم الراء القلب أي ذهب عقلي وضاعت فطنتي. (2) الخيرة: الاختيار. (*)